(قرأ) في القرآن الكريم وشعر ما قبل الإسلام

د. محمود محمد رمضان الديكي

ملخص

يتناول هذا البحث الفعل (قرأ) وما اشتق منه أو بني عليه في القرآن الكريم والشعر الجاهلي ، و ينطلق من فرضية تقول إن هذه المادة لم ترد في عربية ما قبل الإسلام بالمعنى الذي استقرت عليه لمفهوم القراءة لنص مكتوب ، وأن ما ورد في القرآن الكريم من استعمال لهذا الفعل تطور دلالي لمادة لغوية تعود لأصل سامي مشترك ، اتخذ تلك الدلالة المتصلة أولا بالنص الديني في الآرامية والسريانية والعبرية ، وقد امتد أثره إلى العربية مع نزول القرآن الكريم . ويخلص الباحث إلى أن ما تذكره المعاجم العربية من معان ودلالات لهذه المادة اللغوية ما هي إلا دلالات متأخرة ، حاول اللغويون العرب تطويعها تعسفا لتوائم ما استقرت عليه الدلالة المستحدثة .

كلمات مفتاحية : قرأ ، قرآن كريم ، شعر جاهلي ، تطور دلالي ، دراسات مقارنة

(قرأ) في القرآن الكريم وشعر ما قبل الإسلام

لقد شغلت مسألة معرفة العرب قبل الإسلام الكتابة والقراءة حيزا كبيرا من البحث والنقاش، ذلك لارتباطها بأمية الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم – فقد اهتم بها غير واحد من الباحثين ١منهم ناصر الدين الأسد وجواد علي ،وكان كثير من اهتمامهم منصبا على الحديث الذي تثبته مصادر التراث الإسلامي حول أول وحي نزل على الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وأول آية نزلت ، وهي قوله تعالى (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق: ١-٥)

ولم يشكك اللغويون العرب في الأصل العربي لكلمة (قرآن) و هم مجمعون على أنها من الفعل(قرأ)ولم يربطوا بينها وبين أي مادة لغوية أخرى يمكن أن تكون ذات صلة ، ولم يشيروا لأي علاقة بين هذا الاسم وأي لغة غير العربية . في المقابل يرفض بعض المستشرقين ، منهم

Christoph Luxenberg

أن يكون الفعلان (كتب) و(قرأ) من أصل عربي ، والسبب برأيه أنهما فعلان حضاريان يصعب أن يكون لهما وجود في بيئة صحراوية ليس لها نصيب من التحضر ، ٢ وذلك اعتمادا على كلام نولدكة في كتابه

The History of the Quran

وفي حقيقة الأمر إن الرجل قد نقصته الدقة في الاستناد إلى كلام نولدكة ، حيث يقول نولدكة

من الراجح أن الفعل (قرأ) يصعب أن يكون منتميا إلى ما يمكن تسميته باللغة السامية الأولى

proto- Semitc

ويمكن الافتراض أنه قد دخل إلى العربية من اللغات السامية الشمالية ، وبالتحديد السريانية.٣

كما أن الترجمة العربية لكلام نولدكة لم تكن دقيقة حيث يقول المترجم" وبما أن كلمة حضارية مثل (قرأ) لا يمكن أن تكون كلمة سامية قديمة ، يجوز لنا الافتراض أنها انتقلت إلى بلاد العرب من الشمال على الأرجح " . ٤ فنولدكة يتحدث عن اللغة السامية الأولى (الأم) ، وهي لغة يفترض أنها نشأت في مرحلة ما من تطور البشرية لم تكن قد عرفت الكتابة والقراءة بعد ، غير أن اثنين لا يختلفان على أن الأبجدية الأولى كانت سامية ، حيث حضارة أوغاريت شمال بلاد الشام ،وأن الكتابات العربية الجنوبية في اليمن ،والشمالية في شمال الجزيرة العربية وأطراف بلاد الشام ضاربة في القدم ، وحيث تكون كتابة لا بد أن تكون قراءة . ولا أعرف كيف يفترض جورج تامر ،مترجم كتاب نولدكة ، انتقال هذا الفعل الحضاري (قرأ) إلى العربية من الشمال استنادا إلى أنه ليس فعلا منتميا إلى السامية الأم ؟ فالسريانية والآرامية اللتان يفترض أنه انتقل منهما لغتان ساميتان . وعليه فإن ما

خلص إليه نولدكة ومترجم كتابه ، تنقصه الدقة ، وهو بذلك مردود .

فرضيات البحث

تقوم فكرة البحث على فرضية مفادها أن (قرأ) وما اشتق منها أو بني عليها لم تكن معروفة في العربية الشمالية (عربية الشعر الجاهلي) أو ما يعرف بالعربية الفصيحة أو ما يحلو للبعض تسميتها العربية الأدبية ، بالمفهوم الذي نعرفه للقراءة منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم ، وعليه فإن ثمة احتمالان لظهور هذه المادة بكثافة بهذا المعنى في العربية بعد نزول القرآن : ،

الاحتمال الأول : تطور دلالي لمادة لغوية كانت موجودة في العربية.

الاحتمال الثاني :أن تكون مادة وفدت إلى العربية مع ظهور الإسلام من اللغات السامية الشمالية .

محاور البحث :يتجه البحث للسير وفق المحاور الآتية :

١- تحديد مفهوم القراءة تحديدا دقيقا ، بنوعيها القراءة الصامتة والقراءة الجهرية .

٢- النظر في معاجم اللغة العربية مع الأخذ بعين الاعتبار أن أغلب تلك المفاهيم والدلالات متأخرة نسبيا.

٣- النظر في مورد هذه المادة ومرادفاتها في القرآن الكريم ، (تلا ورتل) ودلالتها في السياقات التي وردت فيها .

٤- النظر في ورود (قرأ) و(تلا \ تلى) في الشعر الجاهلي.

٥-النظر في اللغات السامية بغية تأصيل هذه المادة وتحديد دلالاتها وتطورها الدلالي.

ما لم يرد في الشعر الجاهلي من ألفاظ الكتابة

إن مستقرأ ألفاظ أفعال الكتابة وأدواتها في شعر ما قبل الإسلام يخلص إلى مادة ثرة تنبؤ عن أن القوم لم يكونوا بعيدين عن الكتابة ، وأنها كانت شائعة بينهم ، أما درجة شيوعها فتلك مسألة يمكن أن يكون فيها نظره غير أن اللافت للانتباه غياب ثلاثة أفعال رئيسة متصلة بالكتابة هي (قرأ) و (درس) و(نسخ) وهي أفعال أصبح لها حضور مكثف مع نزول الوحي ، والمقصود بغيابها هنا عدم استعمالها في شعر ما قبل الإسلام في ما هو متعارف عليه من دلالاتها التي أثبتها القرآن وما وصلنا من حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ولما لم يكن بوسع الباحث أن يستوعب الأفعال ثلاثتها في هذه الدراسة فإنه سيقصر جهده على أولها (قرأ) ويترك الفعلين الآخرين لقابل الأيام، إن كان في العمر متسع.

(قرأ)في معاجم اللغة

تورد معاجم اللغة العربية عادة عددا من المعاني التي يحيل إليها الفعل (قرأ) وما اشتق منه أو بني عليه ، ويلحظ اضطراب اللغويين في هذه المعاني في محاولتهم للتوفيق بين تلك المعاني التي استعملتها العرب لهذه المادة اللغوية وما أصبح يفهم منها مع ظهور الإسلام وبعده ، من هذه المعاني :

١- الجمع والتأليف ، جاء في اللسان عن ابن الأثير "الأَصل في هذه اللفظة الجمع وكلُّ شيءٍ جَمَعْتَه فقد قَرَأْتَه وسمي القرآن لأَنه جَمَعَ القصَصَ والأَمرَ والنهيَ والوَعْدَ والوَعِيدَ والآياتِ والسورَ بعضَها إلى بعض"٦ وعلى هذا المعنى تم تفسير قوله تعالى : ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ لقيامة :١٨)

:("فإذا ألَّفنا منه شيئًا، فضممناه إليك فخذ به، واعمل به وضمّه إليك" ٧ واستشهد على ذلك بقول عمرو بن كلثوم :

ذراعَيْ حُرَّة أدماءَ بِكْر هِجانِ اللَّوْن لم تَقرَأ جَنينا٨

"أي لم تضمّ في رحمها ولدًا قط، ويقال للتي لم تحمل قط: ما قرأت سَلَىً قط" ٩.

٢- قرأ بمعنى تلا ،" قرأت القرآن تلوت بعضه في إثر بعض ، حتى يجتمع وينضمّ إلى بعض؛ ومعناه يصير إلى معنى التأليف والجمع "١٠

٣- قرأ بمعنى ألقى ولفظ ، ومعنى قَرَأْتُ القُرآن لَفَظْت به مَجْمُوعاً أَي أَلقيته ، وعلى هذا المعنى تم الاستشهاد ببيت عمرو بن كلثوم السابق ، على أن (تقرأ جنينا) لم تلقه من رحمها . ١١

٤- بمعنى ردد وأعاد ، وعليه حمل قولهم " يقرئك السلام " بمعنى يبلغك السلام ، قالوا كأنما حين يبلغك السلام يحملك على إعادته وترديده ، وفي الحديث : " عن عبد الله بن عمر أن رجلا سأل رسول الله ،صلى الله عليه وسلم، أي الإسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" ١٢ من الواضح أن المعنى في هذا الحديث يشير إلى إلقاء التحية وليس إبلاغها كما هو الغالب في استعمال هذه .

٥-بمعنى جهر بصوته في قراءة القرآن ، ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما "أنه كان لا يَقْرَأُ في الظُّهر والعصر ثم قال في آخره (وما كان ربُّكَ نَسيّاً)معناه أنه كان لا يَجْهَر بالقراءة فيهما أو لا يُسْمِع نَفْسَه قراءَتَه"١٣

٦-تفقه وتنسك.١٤ كأنما القراءة تستتبع تفقها، والتففه يستتبع تنسكا.

من الواضح أن هذه الاستعمالات كلها استعمالات إما متأخرة بعد الإسلام، أو محاولات من اللغويين والمفسرين للتوفيق بين دلالة اللفظ في السياق الذي يرد فيه في القرآن الكريم، أو الحديث النبوي ، وما ورد من دلالات لها في شواهد ما قبل الإسلام ، وقد راحوا يلوون أعناق النصوص لتطويعها للدلات التي تظهر فيها مادة (قرأ) في سياقاتها الجديدة .

أما موارد هذه المادة اللغوية في عربية ما قبل الإسلام فكانت على النحو الآتي :

١- (القرء) و (القري) الطريقة والنهج .

٢-(القرء) الوقت ، وجمعه قروء ومنه الشاهد١٥ :

إذا ما السَّماءُ لم تَغِمْ ثم أَخْلَفَتْ
قُروءَ الثُّرَيَّا أَنْ يكون لها قَطْرُ

وليس ببعيد عنه (قروء) الواردة في القرآن الكريم ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ ﴾ (البقرة :٢٢٨)

بمعنى ثلاثة أوقات لحيض المرأة ، ومنه قول الأعشى ١٦:

مُوَرِّثَةً مالاً وفي الحَيِّ رِفعَةً
لِما ضاعَ فيها مِنْ قُروءِ نسائكا

وقوله :

وَلَمْ يَسْعَ في العَلْيَاءِ سَعيَكَ ماجِدٌ
وَلا ذُو إِنًى في الحَيِّ مثلَ قَرَائِكَا١٧

كما أنه من السهل الربط بين هذا المعنى و بيت عمرو بن كلثوم السابق :

ذِراعَيْ حُرَّةٍ أدماءَ بِكْرٍ
هِجانِ اللَّوْنِ لم تَقرَأ جَنينا

من غير اعتساف لمعنى (قرأ) وربطه بالقراءة بالمعنى الإسلامي الذي ظهر كما يبدو مع النبوة أو قبيلها . كما أنه من الميسور ربط جميع الدلالات التي توردها معاجم اللغة بمعنى الوقت أو التوقيت ، منه قولهم "أَقْرَأَت الرِّياحُ هَبَّتْ لأوانها، ودَخلت في أوانها، والقارئُ الوَقْتُ" وشاهدهم على ذلك قول مالك بن الحَرث الهُذَليّ١٨

كَرِهْتُ العَقْرَ عَقْرَ بَني شَليلٍ
إذا هَبَّتْ لقارئها الرِّياحُ

من استعراض ما تثبته المعاجم وكتب التفسير ، محاولة ربط دلالات جديدة ظهرت مع ظهور النبوة ، والحديث الذي يرد في غير واحد من المصادر ، على رأسها سيرة ابن اسحاق لبداية الوحي حديث (ما أنا بقارئ) يبدو أن كل محاولات الربط تلك ركيكة لا يركن الباحث فيها إلى ركن مكين .

مرادفات(قرأ)

ترد في القرآن الكريم مادتان لغويتان أخريان تستعملان للدلالة على ما تدل عليه (قرأ) هما (تلا\تلى) و(رتل) وما يستحق الوقوف عنده هو الفعل (تلا يتلو تلاوة) ذلك أن الفعل (رتل) بين الدلالة، إذ هو ليس من مرادفات (قرأ) أو (تلا) ، إنما يشير إلى نوع خاص من القراءة الخاصة بالقرآن الكريم ، فكل ترتيل بالضرورة قراءة وليس كل قراءة ترتيلا. فيُطلق لفظ (رتل) على كل شيء حسن التنسيق. وفي القرآن الكريم تعني حُسن تنسيق القراءة وترتيبها بحيث يكون لها وقع في السمع والقلب .١٩

تلا \تلى

ترد مادة (تلا يتلو وتلى يتلي) في اللغة العربية لتدور معانيها حول التتابع ، كأن يتبع شيء شيئا سابقا عليه ، فتلا فلان فلانا أي تخلف عنه وتبعه ، ثم تورد معاجم اللغة بعض المعاني المجازية لهذه المادة وكلها متصلة بمعنى التتابع ، ومن هذا الباب التّليَّة والتُّلاَوَة وهي البقيّة، لأنها تتلو ما تقدَّم منها. قال ابن مُقبل٢٠:

يا حُرّ أَمْسَتْ تَليّاتُ الصِّبا ذهبَتْ
فلستُ منها على عَينٍ ولا أَثَرِ

غير أن الأخطل يورد معنى خاصا لهذه المادة لم أعثر عليه عند غيره ،وليس له صلة بمعنى التتابع ، إنما يعني حسن الصوت في الغناء ، ذلك في قوله :

صلت الجبين، كأن رجع صهيله
زجر المحاول ، أو غناء متال٢١

جاء في لسان العرب "والعرب تسمي المراسل في الغناء والعمل المتالي " وتلوت القرآن تلاوة : قرأته ، وفي الحديث في عذاب القبر : " إن المنافق إذا وضع في قبره سئل عن محمد - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به ، فيقول : لا أدري ، فيقال : لا دريت ولا تليت ولا اهتديت "٢٢ ، قيل في معنى قوله : ولا تليت : ولا تلوت أي : لا قرأت ولا درست.٢٣

(قرأ) و(تلا) في القرآن الكريم

تشير معاجم اللغة وكتب التفسير إلى أن القراءة تعني صحة نطق الكلمة والحروف، أما قراءة القرآن فتستتبع الآتي:

١- الاستماع والإنصات ﴿ وَإِذَا قُرِئَ

الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الأعراف:٢٠٤)

٢- الاتباع ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾(القيامة : ١٨)

وقد ورد هذا الفعل في القرآن ١٦ مرة، على النحو الآتي :

أولا : قراءة القرآن

١- ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١٩٨النحل :)

٢- ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾(الإسراء: ٤)

٣- ﴿فَقَرَاَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٩٩(الشعراء :)

٤- ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾(١٠٦(الإسراء :)

٥- ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ (٢٠(المزمل)

٦- ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ (المزمل : ٢٠)

٧- ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾(القيامة :)١٨

٨- ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢٠٤ (الأعراف)

٩- ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ﴾ (٢١(الانشقاق)

من الجلي أن أي من هذه المواطن لا يشير إلى قراءة نص مكتوب ، وهي لا تتجاوز مفهوم الإعادة والتكرير وإسماع المتلقي النص الديني .

أما قوله تعالى ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾(يونس :)٩٤

فلا تختلف فيه دلالة (قرأ) عما سبقها سوى أنها متبوعة بـ (الكتاب) وهو هنا نص ديني لا تشير قراءته بالضرورة إلى مفهوم اللفظ بنص مكتوب ، أي تحويل المكتوب في صحيفة إلى مسموع

ثانيا :مفهوم خاص للقراءة

ست آيات ترد فيها (قرأ) بمفهوم خاص غير معهود في عربية ما قبل الإسلام ، كما أنها تختلف عما استقر ، كما يبدو، في عربية القرآن الكريم ، من حيث إن القراءة فعل مخصوص متعلق بترديد النص المقدس ، والمواطن الثلاث هي آيتا سورة العلق ، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق : ١) ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾ (العلق : ٣) ، والسورة أول ما نزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من الوحي٢٤ يضاف لهما آية سورة الأعلى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى ﴾(الأعلى :٦) والمواطن الثلاث هذه لا تشير إلى مفهوم القراءة من صحيفة

أما المواطن الثلاث الأخرى فهي :

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (الإسراء :١٤)

(الإسراء : ٧١) ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَه ﴾(الحاقة: ٩١)

وهي آيات ثلاث ترد فيها (قرأ) متبوعة بـ (كتاب) ليس من الكتب السماوية ، غير أنه ليس كتابا مما عهدناه في مفهوم الكتاب ،إنه سجل أعمال الإنسان حين يعرض يوم الحساب ، ومع هذا فليس من مجال في تأويل فعل القراءة في هذه الآيات بغير القراءة المعهودة ، وإن كان الكتاب غير معلوم الماهية والقراءة غير مدركة الكيفية .

ويبدو للباحث أن الآيات الثلاث هذه هي التي تأسس للتحول في مفهوم القراءة من ترديد النص المقدس بصوت مسموع أو غير مسموع إلى النظر في صحيفة وتحويل رموزها الكتابية إلى دلالات لغوية يدركها العقل .

أما (تلى\تلا) فقد وردت في السياقات القرآنية الآتية :

١- سرد قصة وخبر ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (الأعراف : ١٧٥)

٢ - تنزيل الآيات القرآنية على الرسول ومن ثم قراءتها على الناس ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ،لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (الكهف : ٢٧)

٣- تبيين الأحكام الشرعية في الحلال والحرام ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام : ١٥١)

٣-القراءة الصحيحة مع الفهم والتدبر (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِه أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة :١٢١) وليس ذلك بمقتصر على

القرآن ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران :٩٣) وفي التفريق بين القراءة والتلاوة يتحدثون عن الفروق الآتية:

١-القراءة تكون للكلمة الواحدة وما فوقها ولا تكون التلاوة إلا للآية وما فوقها .

٢-التلاوة نوع مخصوص من القراءة.

٣-القراءة تكون للقرآن وما سواه أما التلاوة فتكون للنص الديني المقدس، وخص بعضهم التلاوة بالقرآن٢٥ ويرى التهانوي أن هذا التقيد تقييد القراء٢٦

٤-ترد (تلا) غالبا مع (آيات) في حين ترد (قرأ) مع القرآن الكريم ، وقد وردت (تلا) مرة واحدة مع القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (النمل : ٩٢)

٥-في كثير من المواطن يمكن استبدال قرأ بـ(تلا) ولا تتغير الدلالة ، هذا مع التنبه إلى أن القرآن نسج محكم لا يحل فيه حرف محل آخر .

٦- تشير تلا الى التكرار والترديد غير أن هذا لا يستقيم في جميع المواطن .

٧-وردت مادة(تلا) أكثر من (قرأ) في القرآن الكريم ، فقد وردت (تلا) ٦٢ مرة بالإضافة إلى مرة واحدة ليس لها علاقة بمفهوم القراءة ، في قوله تعالى (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ (الشمس : ١-٢) بينما وردت (قرأ) ١٦ مرة يضاف لها مرتين وردت مصدرا بمعنى القراءة في سورة القيامة : ٧٥ . أما (قرآن) اسما للكتاب الذي أنزل على سيدنا محمد فوردت ٧٠ مرة .

٨- وردت (تلا) مسندة الى الشياطين في قوله تعالى :(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ (البقرة : ١٠٢) ٢٧ ، بخلاف (قرأ)

من الواضح أن المعاني التي توردها معاجم العربية للفعل (تلا يتلو أو تلى يتلي) ليس لأي منها علاقة بفعل القراءة المستقر في الأذهان حتى يومنا هذا، أما المعنى الذي تورده في آخر المادة فواضح أنه معنى متأخر تال لنزول القرآن ، بعد أن شاع استعمال هذه المادة لهذا المعنى بعد ظهور الإسلام .

قرأ ودرس

يرد الفعل درس في موطنين من سورة الأنعام ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٥) وقوله تعالى (إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ (أنعام :١٥٦)

وقد اختلف المفسرون في دلالة الفعل (درس) وغالبيتهم يربطون بينها وبين (قرأ) و (تعلم) ٢٨

وهي دلالة لا تتفق مع ما ورد في شعر ما قبل الإسلام من استعمال للفعل (درس) حيث دلالة المحو والتلاشي وغياب المعالم ، غير أن القرطبي يورد تأويلا لهذا الفعل حسب قراءة ابن عامر (درست) بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ، "قال القرطبي : وأحسن ما قيل في قراءة ابن عامر أن المعنى : ولئلا يقولوا انقطعت وانمحت"٢٩

وهذا متفق مع ما ورد من استعمالات الفعل (درس) الذي تطورت دلالته لاحقا بتأثير من اللغات السامية الشمالية لتصبح كما هي مستعملة ليومنا هذا ، مرتبطة بالقراءة والتعلم وتتوارى الدلالة الأقدم فتصبح محصورة في نطاق الشعر إلى أن تختفي تماما ، فنكاد لا نعثر عليها في الشعر الأموي والعباسي .

(قرأ) في اللغات السامية

تلتقي اللغات السامية على معاني مشتركة لمادة (قرأ ، قري) على النحو الآتي :

١- بمعنى نادى أو صوّت ، في الكنعانية ، وترد فيها بالهمز ٣٠ والعبرية ٣١ والآرامية٣٢ والسريانية٣٣ والنبطية ٣٤

ويمكن القول إن أغلب أخوات العربية من اللغات السامية استعملت هذه المادة بهذا المعنى باستثناء العربية الفصيحة .

٢-قرأ بالمعنى الذي نعرفه للقراءة ، أي تحويل الرموز الكتابية إلى مادة سمعية، سواء أكانت صامتة أو جهرية . في الكنعانية ، وهي اللغة السامية الأقدم التي ترد فيها بهذا المعنى ، ويبدو أن الكتابات التي عثر عليها من اللغة الكنعانية استعملت المادة لتأدية الدلالتين ، التصويت أو المناداة والقراءة ٣٥ أما العبرية فاستعملت هذه المادة استعمال العربية ، سوى أنها حافظت على دلالة النداء في استعمالها (٣٦). وفي الثمودية qry بمعنى قارئ(٣٧) وفي البونية (qr) بمعنى (قرأ) (٣٨)، وفي النبطية qr بمعنى قرأ أو سمّى أو نادى (٣٩) .

٣- اللغة الوحيدة التي ربطت بين هذه المادة والنص المقدس هي الآرامية ويبدو أن السريانية قد ورثت ذلك عنها ، حيث ترد في الآرامية qaryn بمعنى كتاب مقدَّس ، التي تنطق في السريانية بالكسرة الخالصة بعد القاف qiryn (٤٠). أما العربية فأثرت الضم qurn ، ثم تحولت فيها شبه الحركة إلى همزة qur'an .

٤- تلتقي العربية الجنوبية بمختلف لهجاتها مع عربية ما قبل الإسلام في دلالة qr بمعنى أمرَ أوجمع واجتمع، (٤١). حيث لا يشير هذا الجذر فيها لأي دلالة تتصل بمفهوم القراءة كما استقر بعد مجيء الإسلام .

مما تقدم يمكن أن نصل إلى أن الدلالة المشتركة لهذه المادة الأكثر شيوعا بين اللغات السامية هي المتصلة بالمناداة أو التصويت، وأن اللغات السامية الشمالية وعلى رأسها الكنعانية هي التي تطورت فيها دلالة ذلك الجذر ليشير إلى القراءة بمفهومها الذي استقر بعد نزول القرآن، وأن الآرامية قد ربطت بين مفهوم القراءة ومفهوم النص المقدس ، ويرجح الباحث أن ذلك الجذر (قرأ) قد زاحم جذرا آخر في عربية ما بعد الإسلام هو (تلي\تلو) للدلالة على مفهوم القراءة قبل أن تتخصص دلالة (تلي\تلو) بنوع مخصوص من القراءة هو قراءة النص المقدس .

ويمكن نخلص إلى نتيجة لا لبس فيها أن اللغات السامية التي تطورت فيها دلالة (قرأ) بهذا الاتجاه هي اللغات ذات النص الديني المقدس ، وهي الآرامية والعبرية وأخيرا العربية ، مما يفسر غياب تلك الدلالة من اللغات السامية الجنوبية ، على الرغم من انتشار الكتابة فيها على نطاق واسع ، ولما كانت الكتابة تستتبع (قراءة) فإن غياب تلك الدلالة عن الجذر (قرأ) في العربية الجنوبية لا يعني اطلاقا غياب دالة لغوية لفعل القراءة . فيلحظ أن اللهجات البدوية في بلاد الشام والجزيرة العربية تخص بشكل لا لبس فيه دلالة (قرأ) بالقرآن الكريم ، أما القراءة من صحيفة أو ما قام مقامها فيطلقون عليها(فك الخط) فيقولون فلان (ما يفك الخط) بمعنى أمي لا يعرف القراءة والكتابة .

المصادر والمراجع

ابن الأثير ،النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى و محمود محمد الطناحي ، بيروت ، المكتبة العلمية :١٩٧٩
ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ابن فارس، تحقيق : عبد السلام هارون ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب : ٢٠٠٢.
ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر : د.ت
أبو عبيدة معمر بن المثنى ، مجاز القرآن ، تحقيق : محمد سزكين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي : د. ت .
أبو البقاء ، الكليات ، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٩٩٨،
الأعشى ، ديوان الأعشى ، تحقيق : محمد حسين ، القاهرة ،مكتبة الآداب بالجماميز : د.ت
البخاري ، صحيح البخاري ، بيروت ، دار ابن كثير : ٢٠٠٢
التهانوي ، كشاف مصطلحات العلوم والفنون ، بيروت ، مكتبة لبنان : ١٩٩٦
جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بغداد ، جامعة بغداد : ١٩٩٣
ابن مقبل ،ديوان ابن مقبل ، تحقيق :عزة حسن ، بيروت ، دار الشرق العربي: ١٩٩٥ .
أحمد الزين ، ديوان الهذليين ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ط٢ ، ١٩٩٥
الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ،تحقيق :صفوان عدنان داوودي ،دمشق ، دار القلم : ٢٠٠٩
الطبري ، تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : بشار معروف وحسام الحرستاني ، بيروت ، مؤسسة الرسالة :١٩٩٤
عمرو بن كلثوم ، ديوان عمرو بن كلثوم ، تحقيق : إيميل بديع يعقوب ، بيروت ، دار الكتاب العربي : ١٩٩١
الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) بيروت ، دار الفكر : ١٩٨١
محمد شحرور ، الكتاب والقرآن ، قراءة معاصرة ، بيروت ، دار الساقي : ٢٠١٠
محمد الأحمدين ، الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية ، القاهرة ، مركز الحضارة العربية :١٩٩٩

محمد عابد الجابري، النبي الأمّيُّ والأمة الأمّية – جريدة الاتحاد الإماراتية – بتاريخ ٢٠٠٦/٤/٩

محمود الديكي ، ألفاظ الكتابة في شعر ما قبل الإسلام ، مجلة الآداب ، ع ١٢ \ ٢٠١١

ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي ، القاهرة ، دار المعارف : ١٩٨٨ ،

نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص ، دراسات في علوم القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٩٠

× Beeston (et al).

Sabaic Dictionary English–French–Arabic. Librairie du Liban. Beirut. ١٩٨٢ (Beeston).

× Cantineau.

Le Nabateen Notions Generales– Ecriture Grammaire . Otto Zeller. Osnabruck. ١٩٧٨.(Cantineau).

× Gesenius.

A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament. Translated by: Brown. Driver. and Briggs. Clarindon Press. Oxford. ١٩٧٩ (Gesenius).

× Gesenius.

Hebrew and Chaldee Lexicon of the Old Testament. Edited by; Samuel Prideaux Tregelles. Michigan. ١٩٧٨.

× Tomback. R..

A Comparative Semitic Lexicon of the Phoenician and Punic Languages. USA. ١٩٧٨ (Tomback).

× Slouszch. N.

Otzar Hakkitobot Happiniqiyot. (Thesaurus of Phoenician Inscriptions. ١٩٤٢. (Slouszch).

Christoph Luxenberg ×

The Syro–Aramaic Reading of the Koran (German edition ٢٠٠٠. English translation ٢٠٠٧)

× Benz. D. L..

Personal Names in the Phoenician and Punic Inscriptions (Studia Bohl ٨). Rome. ١٩٧٢ (Benz).

× Berthier & Charlier

Le sanctuaire punique dÉl–Hodra à Constantine. Paris. ١٩٥٥–١٩٥٢ (Berthier & Charlier).

Louis Costaz. C.J. Syriac–French–English–Arabic–Dictionary ،Dar Al mashriq . Bayrut ،٢٠٠٢(Costaz)

Theodor Nöldeke. Friedrich Schwally. Gotthelf Bergsträßer and Otto Pretzl. Edited and translated by Wolfgang H. Behn ، The History of the Qurʾan . Linden– Boston ، ٢٠١٣(Brill)

الهوامش

لمزيد حول مناقشة هذه الآراء ينظر: الفخر الرازي مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) بيروت ، دار الفكر : ١٩٨١ج٣ ص١٤٨ ،والراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن مادة(أمّ) ص ٨٦- ٨٧ ، ومصادر الشعر الجاهلي ص ٤٥ وما بعدها و د. محمد عابد الجابري، النبي الأمّيُّ... والأمة الأمِّية - جريدة الاتحاد الإماراتية - بتاريخ ٢٠٠٦/٤/٩، ومحمد شحرور ، الكتاب والقرآن ، قراءة معاصرة ، بيروت ، دار الساقي : ٢٠١٠ ، ص ١٣٩- ١٤٣ ،ونصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص ، دراسات في علوم القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٩٠ ، ص ٦٦ ، و محمد الأحمدين ، الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية ، القاهرة ، مركز الحضارة العربية :١٩٩٩، ص ٩٠- ٩٥

٢ Christoph Luxenberg ،The Syro-Aramaic Reading of the Koran (German edition ٢٠٠٠، English translation ٢٠٠٧) p ٧٠

٣ Nöldeke ، The History of the Qurɑn ، pp٢٧-٢٦\١

٤- ص٣١ ينظر ، تاريخ القرآن ، نولدكة ، ترجمة : جورج تامر وآخرون ، طبعة بيروت : ٢٠٠٤ ،

٥- ينظر : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بغداد ، جامعة بغداد : ١٩٩٣ ، ج ٨\ ٢٤٨- ٢٥٠ وناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي ، القاهرة ، دار المعارف : ١٩٨٨ ، ص ٩٥ ، ومحمود الديكي ، ألفاظ الكتابة في شعر ما قبل الإسلام ، مجلة الآداب ، ع ١٢ \ ٢٠١١ ص ٧- ٣٨

٦- ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى و محمود محمد الطناحي ، بيروت ، المكتبة العلمية :١٩٧٩ ، ج٤ ، باب القاف مع الراء . ٣١\٤ وابن منظور ، اللسان ، بيروت ، دار صادر ، مادة (قرأ) ١١\١٢٧-١٣٢

٧- مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق : محمد سزكين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي : د. ت ، ص ١٧- ١٨

٨- ديوان عمرو بن كلثوم ، ص٦٨ ، وعجز البيت فيه روايات عديدة منها (لم تحمل جنينا) وأغلب الروايات لم ترد فيها (تقرأ) ينظر: هامش المحقق رقم ١٨

٩- ينظر : مجاز القرآن ، السابق ، وينظر : اللسان (قرأ) بيروت ، دار صادر ، ١١\١٢٧-١٣٢

١٠- مجاز القرآن ، نفسه

١١- ينظر :ابن منظور ، اللسان ، بيروت ، ، مادة (قرأ) ص ١١\١٣١

١٢- البخاري ، صحيح البخاري ، بيروت ، دار ابن كثير : ٢٠٠٢،كتاب الإيمان ، باب إفشاء السلام من الإسلام ، ص ١٧

١٣- ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ،٣١\٤

١٤- ينظر :(تقرأ) اللسان ، السابق

١٥- ينظر : نفسه

١٦- ديوان الأعشى ، تحقيق : محمد حسين ، القاهرة ،مكتبة الآداب بالجماميز : د.ت ، ص٩١

١٧- السابق

١٨ ديوان الهذليين ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، أحمد الزين ، ط٢ ، ١٩٩٥ ٣\٨٣ وفيه أوردها بالتسهيل (لقاريها)

١٩ ينظر : اللسان (رتل)

٢٠ مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب : ٢٠٠٢ ، ١١\٣٢٢ والبيت في ديوان ابن مقبل ، تحقيق :عزة حسن ، بيروت ، دار الشرق العربي: ١٩٩٥ ، ص٧٠

٢١ ليس في ديوانه ، هكذا يرد في اللسان مادة (تلي) ومقاييس اللغة ١١\٣٢٢

٢٢ صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، حديث رقم ١٣٧٤ وفتح الباري ١٣\٢٣٢

٢٣ ينظر :اللسان والصحاح والقاموس المحيط والعباب وتاج العروس مادة (تلي\تلو)

٢٤ يناقش نولدكة هذه الرأي ويرجح أن الآيات الخمس الأولى من سورة العلق هي أول آيات القرآن الكريم ، ينظر : تاريخ القرآن ، السابق ، ص٩٦

٢٥ ينظر : أبو البقاء ، الكليات ، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٩٩٨، ص ٢٢٦.

٢٦ التهانوي ، كشاف مصطلحات العلوم والفنون ، بيروت ، مكتبة لبنان : ١٩٩٦ ، ١١\١٧١

٢٧ اختلف في تأويل قوله تعالى (تتلو)قال بعضهم تحدث وتروي وتتكلم به وتخبر ، وقال آخرون تقرأ ،نحو تلاوة القرآن ، وقيل ما تتبعه وترويه وتعمل به ، ينظر :الطبري ، تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : بشار معروف وحسام الحرستاني ، بيروت ، مؤسسة الرسالة: ١٩٩٤ ، ص ٣١٥- ٣١٦

٢٨ ينظر : تفسير الطبري ، ٩\٤٧١ – ٤٧٩ ، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق عبدالله التركي وآخرين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة : ٢٠٠٦ ، ص١٨ ٤٨٩ والنحاس ، إعراب القرآن ،تحقيق :زهير زاهد ، بيروت ، عالم الكتب ودار النهضة : ١٩٨٥ ،ص ٨٩\٢

٢٩ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،عمان ، دار الفكر : ١٩٩٥ ، ص ٤٩٠\١١ محمد الأمين الشنقيطي ،

٣٠ Slouszch، P. ١١، Tomback، P. ٢٩٣، Hoftijzer & Jongeling، PP. ١٠٢٧-١٠٢٦.

٣١ Gesenius، P. ٨٩٤.

٣٢ Gesenius، P. ٨٩٤.

٣٣ Costaz، P. ٣٢٨

٣٤Cantineau، vol. II، PP. ١٤٤-١٤٣.

٣٥ Slouszch، P. ١١، Tomback، P. ٢٩٣، Hoftijzer & Jongeling، PP. ١٠٢٧-١٠٢٦. Berthier & Charlier، P. ٩٤، Benz، P. ٤٠٧، Tomback، P. ٢٩٤

(٣٦) Gesenius، P. ٨٩٤.

(٣٧)Jaussen and Savignac، Mission Archeologique en Arabie، (Jsa). No. ٧٢٤.

(٣٨)Tomback، P. ٢٩٣، Hoftijzer & Jongeling، PP. ١٠٢٨-١٠٢٦

(٣٩) Cantineau، vol. II، PP. ١٤٤-١٤٣.

(٤٠) Tomback، P. ٢٩٤.

(٤١) Beeston، P. ١٠٦.